من قلوبٍ امتلأت حبًّا لكم في سبيل الله،

كلماتٌ للمسلمين الجدد

منى حسام

أسنّة الضياء

بسم الله الرحمن الرحيم

من قلوب امتلأت حبًّا لكم في سبيل الله،

كلمات للمُسلمين الجُدد

منى حسام

أسنّة الضياء
ketaeb.com

الإهـداء

إلى القلوب التي خرجت من الظلمات إلى النور...

إلى الذين تركوا عبادة كل وثنٍ وكل ما يُعبد من دون الله، واختاروا عبادة الواحد الأحد، الفرد الصمد...

إلى الذين تخلّوا عن زخارف الدنيا وزينتها...

إلى الذين أضاؤوا شعلة الإيمان في قلب كل مسلم؛ فكانوا قدوة ونورًا للمستبصرين...

إليكم أنتم الذين سمعتم الحقّ فاستجبتم له، وسارعتم إلى طاعة الله...

فاستنرتم بالهداية، وملأتم قلوبكم حبًّا لله وعزمًا على الثبات...

إلى إخواننا في الإيمان... إلى المسلمين الجدد...

إلى من أحببناهم وفرحنا بهم من دون أن نجتمع بهم...

تمهيد

هذا الكتيّبٌ مهدى إلى إخواننا في الإيمان، المسلمين الجدد، الذين شاهدنا في خطواتهم الأولى نحو الله ما يملأ القلب فخرًا وعزة، وما يُشعل في النفس شعلة الإيمان. لقد تعلمنا منهم أكثر مما قد تتخيله الكلمات؛ فقد رأينا في نطقهم للشهادة صلابةً لا تلين، وفي قلوبهم المتسارعة نحو الإسلام شغفًا يذيب كل خوف، وفي دموعهم الصادقة توقًا صادقًا إلى الحق، ورغبةً في العودة إلى الطريق المستقيم الذي سلكه السابقون الأولون.

لم تكن قصص دخولهم مجرد حكايات تثير الشجن أو التأثر العابر، بل كانت دافعًا حيًّا لنا لتجديد إيماننا بالله الواحد الأحد، لتذكيرنا بأن للهداية قوةٌ لا تُضاهى، وأن الانتماء للإسلام يملأ الروح فرحًا وسكينةً وعزيمة. رأينا في خطواتهم تلك العزيمة الصافية، والروح المتعطشة للحق؛ فتعلّمنا منهم أن الإيمان ليس مجرد كلمات، بل حياة كاملة، تسابق النفس نحو الله، وتسرع القلب نحو مرضاته.

فاللهمّ ارضَ عنهم، وثبّتهم على الحق، واحفظهم بحفظك الذي لا يضيع من استودعك، فهؤلاء إخواننا في الدين، منهم من هاجر بدينه وترك أهله ودياره طلبًا لرضاك، وسعيًا إلى أرضٍ يذكر فيها اسمك، ومنهم من لا يزال يجاهد بثباته وصبره، ويرابط على الحق، ويقف في وجه من يعتدي على دينه أو يسيء إلى إسلامه.

اللهمّ قوِّ عزائمهم، وأنر بصائرهم، واجعلهم من الثابتين على صراطك المستقيم، ومن الدعاة إلى دينك بالحكمة والموعظة الحسنة. واجعلنا جميعًا من الذين إذا سمعوا الهدى اتبعوه، وإذا أُمروا بالخير سارعوا إليه، وإذا ذُكر الله خفقت قلوبهم شوقًا إليه.

اللهمّ كما هديتَهم بنورك، فثبّتنا معهم على سبيلك، واجعلنا وإيّاهم مفاتيح للخير، مغاليق للشر، واجمعنا بهم في الفردوس الأعلى، حيث لا تعب ولا نصب، جنّات عدن التي وعد بها المتقين.

الرّسالــة الأولى

إنّ مسارعتكم إلى الإسلام حين تبيّن لكم الحقّ، هي ذات الخطوة التي خطاها أصحاب رسول الله ﷺ في مكة، حين دعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد؛ فتركوا ما كانوا عليه من أوثان وجاهلية، وأقبلوا إلى النور وهم منشرحو الصدور. لقد فعلتم كما فعل أولئك الأطهار؛ صدّقتم الحقّ حين عرفتموه، ولم تترددوا، فأنتم على دربهم تسيرون، وبصدقكم يتجدّد في قلوبنا معنى الإسلام الأول.

أنتم اليوم تشبهون أولئك الذين دخلوا هذا الدين في بداياته؛ غرباء في ظاهر الأمر، لكنّهم عند الله أعزاء، ثابتون على نورٍ لا يخبو. فقد واجهوا ما واجهتم: الغربة عن الأهل، والبعد عن المألوف، والدهشة من العالم الجديد الذي غمر قلوبهم بالإيمان. ومع ذلك، صبروا واحتسبوا؛ لأنهم علموا أنّ طريق الله لا يُقاس براحة الجسد، بل بطمأنينة القلب وإخلاصه لله.

وأنتم، حين نراكم تختارون الإسلام بصدقٍ رغم صعوبته في البداية؛ نزداد يقينًا أن الهداية ما زالت تنبض في الأرض، وأنّ الله ما زال يفتح القلوب للنور مهما طال ظلام الجهل.

لقد أحييتم فينا معنى الإيمان من جديد. فاثبتوا يا أحبتنا؛ فإنّ الله الذي قادكم إلى النور لن يترككم في الظلام، وإنّ الطريق الذي بدأتموه اليوم، وإن بدا طويلاً، فهو طريق الأنبياء والصالحين، طريقٌ من سار عليه لم يَخِبْ، ومن صبر عليه وجد في آخره الجنة. قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ

إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء.» رواه مسلم.

الرّسالـة الثّانيّـة

يا من أكرمكم الله بنور الهداية بعد ظلمة الضلال، ويا من شرح الله صدوركم للإسلام بعد طول حيرةٍ وتيه، أبشروا! فأنتم من الذين اصطفاهم الله وخصّهم بكرامة عظيمة لا يُدرك قدرها إلا من ذاق مرارة البعد عن الحق ثم وجد حلاوة الإيمان.

إن نعمة الإسلام ليست كأي نعمة، فهي النعمة التي تُحيي القلب بعد موته، وتروي الروح بعد عطشها، وتنير البصيرة. كم من أناسٍ عاشوا في ظلمات الكفر لا يعلمون لِمَ خُلقوا، ولا إلى أين يسيرون، يعبدون الحجر أو يتبعون الهوى، أو يظنون أن الحياة عبث بلا غاية، ثم أكرمهم الله بالقرآن، فبدّل خوفهم أمنًا، وجهلهم علمًا، وضياعهم عملاً، ثم استخدمهم في سبيله ليحملوا الرّسالة ويبلغوها.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أنتم، يا من أحيى الله قلوبكم بنور الإسلام، بعد أن كانت تائهة بين ظلمات الشك والإلحاد، والحيرة بين أديان البشر المستحدثة. إن هدايتكم ليست صدفة، بل هي اختيارٌ ربّاني واصطفاء من الله، كما قال تعالى:﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]

تأملوا في هذا اللطف الإلهي، كيف ساقكم الله إلى الإسلام بخطواتٍ لم تكونوا تدركون معناها، بكلمةٍ سمعتموها، أو موقفٍ أثّر في قلوبكم، أو آيةٍ قرأتموها فهزّت أعماقكم، لتكون لحظة التحول الكبرى في

حياتكم، لحظة الميلاد من جديد، لا ميلاد الجسد، بل ميلاد القلب والروح والإيمان، وأمّة نبينا صلى الله عليه وسلم أمّة ولود! لا ينقطع أهل الحقّ فيها.

وإن نعمة الإسلام تستحق الحمد الدائم، فاحمدوا الله على أن هداكم، واثبتوا على طريقه، وتذكّروا أن الله لا يترك من عاد إليه صادقًا، بل يزيده نورًا على نور، وثباتًا على ثبات.

ولا تستصغروا ما أنتم فيه من خير، فأنتم الذين قال الله عنهم:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]

الحمد لله الذي هداكم للإسلام، وما كنتم لتهتدوا لولا أن هداكم الله..

الرّسـالة الثالثة

في دار الأرقم.. بدأت القلوب تحيا

حين نعود بقلوبنا وذاكرتنا إلى مكة قبل الهجرة، نرى مشهدًا مهيبًا يملؤه النور رغم ظلمة الجاهلية. هناك، في بيتٍ صغيرٍ متواضعٍ على سفح الصفا، اجتمع الصادق الأمين ﷺ مع نفرٍ من الرجال والنساء الذين آمنوا به وبما جاء به من عند الله جلّ جلاله. تلك الدار البسيطة كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ، أول مركزٍ للدعوة في الإسلام.

في تلك المساحة الصغيرة، بعيدًا عن ضوضاء قريش وعيون المعاندين، بدأ الإسلام يُبنى في القلوب قبل أن يظهر على الألسن. كان النبي ﷺ يجلس بينهم، يقرأ عليهم القرآن، ويعلّمهم الإيمان، ويزرع فيهم الصبر والثبات.

هناك، في دار الأرقم، تخرّجت القلوب المؤمنة التي حملت الرسالة للعالم كله. كان الداخل إلى تلك الدار يدخلها خفية، لكنه يخرج منها بقلبٍ جديدٍ لا يعرف الخوف، بل يفيض يقينًا وإيمانًا. لم تكن حجارتها ثمينة، لكنّ ما اجتمع فيها من صدقٍ وإخلاصٍ جعلها أعظم من قصور الملوك. ومن قبل دار الأرقم، كان هناك من سبق إلى الإسلام بصدقٍ وإيمانٍ صافٍ: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وخديجة بنت خويلد، وبلال بن رباح، وخباب بن الأرت، وعثمان بن مظعون وغيرهم من السابقين الأولين.

هؤلاء تحمّلوا الأذى والتهديد والسخرية والعذاب، لكنّهم لم يبدّلوا ولم يتراجعوا؛ لأن نور الإيمان وتوحيد الله سبحانه كان أعظم من كل ألم. وهكذا، أنتم اليوم يا من شرح الله صدوركم للإسلام، تسيرون على خطاهم وإن اختلف الزمان.

كلُّ لقاءٍ يجمعكم على ذكر الله، وكلُّ مجلسٍ تتعلّمون فيه القرآن، هو امتدادٌ لتلك الدار المباركة. أنتم الآن تصنعون "دار الأرقم" جديدة في زمنكم، في بيوتكم ومساجدكم ومجالسكم الصغيرة. فالدار لم تكن مكانًا فقط، بل كانت حالة إيمانية من الحبّ والصدق لله ولرسوله ﷺ. تأمّلوا، كيف بدأ الإسلام في مكانٍ واحدٍ بسيطٍ في مكة، ثم انطلق ليبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وما كان ذلك لولا ثبات أولئك المؤمنين الذين صدّقوا في وقتٍ كان فيه التصديق ثمنه الغربة والأذى.

فأنتم امتدادٌ لذلك النور، تسيرون على أثرهم، وتُعيدون إلى العالم معاني الإيمان الأولى: أن الدين ليس إرثًا يُورث، بل هدايةٌ تُمنح، وأن القلوب إذا صدقت لا يوقفها شيء. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. أنتم اليوم من الذين اتّبعوهم بإحسان، فكونوا كما كانوا صادقين في الإيمان، ثابتين في المحن، حريصين على العلم والعبادة، ولا تيأسوا إن قلّ الناصر؛ فالله معكم، كما كان مع القلة التي اجتمعت يومًا في دار الأرقم.

الرّسالة الرّابعة

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾

قاعدة عظيمة يخبر الله بها عباده: أنّ هذه الدنيا دارُ اختبارٍ وامتحان، لِيَرى الصادقَ من الكاذب، والمخلِصَ من المدَّعي، ولِيُمَيِّزَ الصفوف.

بدخولكم في الإسلام، بدأت رحلةُ اللذّة الحقيقية التي لا تُضاهى، ولن تجدوا مثلها في الدنيا مهما تنوّعت الملذّاتُ والشهواتُ والزينة!

إنها لذّة الإيمان حين تكونون في كنف الله تعالى، تتقلبون بين طاعةٍ وطاعة، وتتذوقون معاني العبودية لله عز وجل.

أعلم أن الطريق قد يبدو في بدايته صعبًا وشاقًّا؛ خاصةً لما قد تواجهونه من أذى ومعارضة من أقاربكم وأهليكم بعد نطقكم شهادةَ «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله».

لكنها سُنّةُ الله في عباده، وهكذا كانت حياةُ الأنبياء عليهم السلام، لم تخلُ من الابتلاءات، وتعرّضوا لكثيرٍ من الأذى من أقوامهم.

ورسول الله مُحَمَّد ﷺ وأصحابه الكرام تعرّضوا لأنواعٍ من الأذى في سبيل الله وفي سبيل دعوة الناس إلى دين الحق.

كم تأذّى المسلمون من قريش، وعُذِّبوا على الرمضاء، وطُعِنت سميةُ بنتُ خيّاط ﵂ في موضع عِفَّتها على يد أبي جهلٍ لثباتها على دين الله، لأنها لم ترضَ أن تتخلى عنه وتعود إلى دين قومها.

وبلال بن رباح ﵁ أُوذِيَ أشدَّ الأذى، لكنه أبى أن يكفر بالله، وظلّ يردّد في وجههم: «أحدٌ، أحدٌ!»

فاعلموا -رحمكم الله- أنَّ ما يصيبكم في طريق الإسلام من أذى، إنما هو في سبيل الله، وأنه ينتظركم نعيمٌ عظيمٌ دائمٌ في جنات عدن، إنْ صدقتم في إيمانكم وثباتكم.

فلا تغترّوا بالأكاذيب، ولا تنخدعوا بالدعوات التي يراد بها صدّكم عن دينكم بعد أن سمعتم الحق فاستجبتم له.

فاصبروا، إن العاقبة للمتقين.

الرّسالة الخامسة

يا من شرح الله صدره للإسلام، اعلم أنّ الكلمة التي نطقت بها (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله) ليست لفظًا يمرّ على اللسان، بل ميثاقٌ عظيم تهتزّ له أركان الكون، وتُكتَب به السعادة الأبدية لمن صدقها وعمل بمقتضاها.

لقد قامت السماوات والأرض على معنى هذه الكلمة، وبها افترق طريقُ النور عن طريق الظلمة. ما من نبيٍّ بعثه الله تعالى، ولا كتابٍ أنزله، إلا ليغرس في القلوب هذا الأصل العظيم: أن لا يُعبد في هذا الوجود إلا الله وحده، لا شريك له، ولا نِدَّ له، ولا شبيه.

إنها الكلمة التي أعتقت القلوب من عبودية الخلق، وردّتها إلى عبودية الخالق. بها تتحرر الروح من الخوف، ويزول القلق، ويثبت اليقين؛ لأن من عرف ربّه حق المعرفة، لم يركن إلى أحدٍ سواه، ولم يُعظّم في قلبه إلا وجهه سبحانه.

يا من آمنتم حديثًا، أبشروا! فأنتم دخلتم في ميثاقٍ عظيمٍ لم تُكلَّف به الأمم إلا لتتحقق به، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فكلّ صلاةٍ تؤدَّى، وكلّ زكاةٍ تُخرَج، وكلّ دمعةٍ تُسكَب من خشية الله إنَّما هي ثمرةٌ لتلك الكلمة. إنها أصل الدين، وغايته، وميزان النجاة يوم يقوم الناس لربّ العالمين!

ألا ما أعظمها من كلمةٍ إذا استقرّت في القلب، بدّلت الخوف أمنًا، والضياع هدى، والحيرة سكينة.

هي الكلمة التي بها نال الأنبياءُ رفعةَ المقام، وبها نجا الموحّدون من العذاب، وبها تُغفر الذنوب وتُرفع الدرجات.

قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة» (رواه البخاري).

فتذكّروا دائمًا أنكم حين قلتموها، إنما أعلنتم ولاءكم لله وحده، وتبرّأتم من كلّ معبودٍ سواه، وبدأتم طريقًا سار فيه الأنبياء والأولياء والصالحون. فاثبتوا على معناها، وجدّدوا عهدها في قلوبكم، واجعلوا أعمالكم ترجمانًا لها؛ فبها يبدأ الطريق، وإليها ينتهي.

الرّسـالة السادسة

اعلموا أن أعظم ما تُرزقونه بعد الإسلام هو الإيمان بالله حقَّ الإيمان؛ إيمانٌ يملأ القلب طمأنينةً وإن اضطربت الدنيا وأثخنت بالعبد، فإن الإيمان يورث صاحبه سكينةً لا يذوقها من لم يعرف ربَّه!

الإيمان بالله ليس فكرةً تُدرَك بالعقل فقط، ولا كلمةً تُقال باللسان؛ بل هو حياةٌ تسري في العروق، ونورٌ يستقرُّ في القلب، وعهدٌ بين العبد وربه أن يعبده وحده، ويرضى بقضائه، ويُحسن الظنّ به في كل أمره.

من عرف الله بأسمائه وصفاته، هان عليه كلّ ما سواه، ومن استشعر قربه، استغنى عن الخلق أجمعين.

إذا آمن العبد بأن الله هو الرحمن الرحيم؛ علم أن رحمته أوسع من ذنوبه، وإذا آمن بأنه الحكيم الخبير؛ رضي بما قدّر عليه، وإن خفي وجه الحكمة عنه، وإذا آمن بأنه العزيز الجبّار؛ سكن قلبه، لأنه يعلم أن لا أحد يملك عليه أمرَه إلا ربُّه.

إن المؤمن إذا أوى إلى صلاته، وجد فيها وطنًا، وإذا ذكر الله خالط الإيمانُ لحمَه ودمَه،

وإذا سجد، أحسَّ أنه يضع جبينه على الأرض لا ذلًّا فقط، بل وفخرًا بأن له ربًّا يسمعه ويعرفه ويغفر له.

فأنتم لقد ذقتم أول طعمٍ للإيمان حين قلتم ''آمنا بالله''، فاحرصوا على أن يزداد هذا الطعم حلاوةً يومًا بعد يوم، قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» رواه مسلم.

إن الإيمان هو المرفأ الآمن في بحر الدنيا المضطرب، وهو النور الذي لا ينطفئ في دروب الغربة، وهو الرفيق الذي لا يترك صاحبه في الظلمة، به يعرف العبد طريقه، ويقيس الدنيا بميزان الآخرة، ويعلم أن ما كتب الله له لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فكونوا من المؤمنين الذين إذا نزل بهم البلاء، قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، وإذا أتتهم النعمة، قالوا: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أولئك هم الذين عرفوا الله فعرفوا أنفسهم، وأحبّوه فهانت عليهم الدنيا، واشتاقت أرواحهم إلى لقائه. قال الله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

حفظكم الله وثبتكم وآواكم.

الرّسـالة السابعة

ما أعظمكم، وما أرفع قدركم عند الله، حين اخترتم طريق تعلّم اللّغة العربيّة والقرآن، واجتهدتم في فهم كلام الله وحفظه، رغم أن لغتكم الأم ليست العربية! لقد خضتم جهادًا عظيمًا لا يراه إلا الله عز وجل، حيث كل حرف تتعلمونه، وكل كلمة تفهمون معناها، هو خطوة نحو الثبات، وعمل صالح يكتب لكم في الميزان، ويزداد به نور قلوبكم.

قال تعالى: ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، إنّ تعلم القرآن بلغة ليست لغتكم الأم ليس مجرد حفظ كلمات؛ بل هو غوص في بحار النور، ومواجهة للصعاب والتحديات، وانتصار على الذات في سبيل الله. كل آية تحفظونها، وكل سورة تتلوها قلوبُكم بخشوع، هي دليلٌ على صدقِكم وحبِّكم لله ولرسوله ﷺ، ورغبتكم الحقيقية في أن تكونوا من الذين يزدادون قربًا من ربهم بالإيمان والعمل الصالح.

لقد رأينا في قصصكم كيف أن آيةً واحدةً قد هزّت قلوبكم، وسورة صغيرة أضاءت نفوسَكم، وأعادت لكم شعورًا لم تعرفوه منذ سنين. من آيات جزء عمّ إلى سورة مريم، التي بينت لكم أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وحتى تأملكم في آيات الله الكونية عن خلقه وقدرته، كل ذلك أذاب القسوة في القلوب، وأشعل شوقًا لا يُقاس للإيمان، وانهمرت دموع التوبة والخشية. وذلك لأنكم أدركتم حقيقة السنوات التي عشتُموها في ظلال جاهلية وبعد عن الله والطريق المستقيم.

فإنها دموع صادقة، وقلوب خاشعة لله وحده. لله دركم، ثبّتكم اللهُ، وجعل كل جهدكم في تعلم كتابه نورًا يُضيء دروبَكم في الدنيا، وبشارةً لكم في الآخرة، وحصنًا لكم من الشك والضلال.

اعلموا أنّكم في هذه الرحلة المباركة لستم وحدكم، فكل من سار على هذا الطريق قبلَكم، وكل من يجاهد الآن بروحه وعمله، يشترك معكم في هذه الرحلة، رحلة الارتقاء، رحلة العلم والعمل والتقوى، فتثبتوا على هذا الدرب، وثقوا بأن ثمار جهادكم ستنبت في قلوبكم وفي حياتكم، وتجعلكم من الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]

الرّسـالة الثامنة

إن التمسك بالكتاب والسنة هو الحصن الحصين لكم من الشكوك والضلالات، وهو الطريق الآمن إلى رضوان الله؛ فلا تسمحوا لأحد أن يزرع في قلوبكم شكًّا حول ما أنتم عليه من الحق، ولا تنجرفوا وراء البدع التي قد تبدو جذابة في البداية، لكنها في النهاية تحرفكم عن الطريق المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تذكّروا دائمًا أن المسلم مصدره دومًا من القرآن والسنة النبوية، وحرصكم على أخذ العلم من مصادر موثوقة من علماء السّلف الصالح، وانتبهوا من كل أمر لا يقبله العقل البشري، مثل الاحتفالات المبتدعة، وإحياء الذكر والمولد النبوي بطرق لم يرد فيها نص شرعي.

فالبدعة هي كل ما أحدث في الدين بعد النبي ﷺ وصحابته، وهي محاولات لإدخال ما ليس من الدين بحجة تجميله أو تجديده، لكنها في الحقيقة تُبعدكم عن الطريق الصحيح. فلا تنجرفوا وراء أي فكر يدعي الإصلاح أو التغيير باسم الدين؛ بينما هو في الحقيقة إفساد في دين الله. قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليسمنه فهو رد». رواه البخاري.

وعليكم أن تعلموا أن هذه الرسائل لا تقتصر على البدع، بل هناك معارك فكرية متلاحمة قد تواجهكم في بداية إسلامكم؛ لمحاولة زعزعة إيمانكم. يريدون أن يمنعوا عنكم رؤية النور، وأن يواصلوا

غزو فطرتكم وقلوبكم بأفكار محرّفة، كما كانوا يقنعون أجدادكم أو من سبقكم بأن الطبيعة تُعبد، أو أن الشمس والقمر والنجوم والكواكب آلهة، كما زرعوا في نفوسكم الشك بأن الله ليس موجودًا أو أنه لا يوجد ربٌّ يدبر الكون.

فاحرصوا دائمًا على التثبت بالكتاب والسنة، وراجعوا أقوال الصحابة وأفعالهم، واستمدوا من ذلك قوة وثباتًا في مواجهة كل بدعة أو انحراف أو غزو فكري، لتظل قلوبكم صافية، وعقولكم واضحة، ونواياكم صادقة في السعي وراء رضا الله وحده. فبهذا يكون الدرب مستقيمًا، والنور متقدًا، وحياتكم مليئة بالسكينة والطمأنينة والإيمان الصادق والعمل في سبيل الله.

الرّسـالة التاسعة

الهجرة في سبيل الله

الطريق إلى الله ليس مفروشًا بالورود، بل هو درب الصابرين والمجاهدين. نعلم أنكم تواجهون أذى شديدًا من الأقارب، وتهديدًا من المجتمع، ومن الحكومات المعادية للإسلام وأهله، لكنكم اخترتم الثبات على الطريق رغم كل الصعاب، ولم تلتفتوا إلى الوراء رغم قدرتكم على ذلك، ورغم الإكراه الذي كنتم تمرون به.

خطوتم خطوة عظيمة بترك أهلكم وديياركم مهاجرين في سبيل الله، ساعين إلى مرضاته ورضاه، لتحفظوا دينكم ولتحافظوا على تلك اللذة التي شعرتم بها حين علمتم أنّ الإسلام هو الدين الحق.

لقد تعرّض المسلمون الأوائل للأذى في مكة، فأَذِنَ اللهُ لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، حيث بدأ هناك بناء مجتمع الإيمان، وتأسيس دولة الإسلام، ورفع لواء الدين. فهجرتكم اليوم ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر، بل هي هجرة القلوب قبل الأبدان، واعتناق الحق قبل المكان، واستعداد للتضحية في سبيل الله تعالى. قليل والله من يفعل هذا في زماننا المعاصر، فربح البيع!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٧٨].

فيا من تركتم دياركم مهاجرين في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا يأس اليوم، ولا حزن؛ فكل ضيق يُهون أمام النور الذي أشرق في قلوبكم، وأضاء لكم طريقكم، وأخرجكم من الظلمات إلى نور الفجر الصادق. إن الهجرة إلى الله ورسوله ليست عائقًا يمنعكم من ممارسة دينكم، بل هي أولى الفتوحات التي يفتحها الله لكم لتتعلموا دينكم على الوجه الذي يرضيه، وتعيشوا حياةً مليئة بالسكينة والطمأنينة والإيمان الصادق.

لقد أثلجت صدورنا شهادات العديد من الإخوة والأخوات الذين هاجروا إلى دول إسلامية، وارتدوا الحجاب والنقاب، وأعفوا اللحى، ووجدوا راحة قلبية ونفسية؛ لأنهم ساروا على درب السّابقين الأوّلين، وأحسنوا الصبر، واتبعوا خطى النبي ﷺ وصحابته؛ فكانت هجرتهم نورًا لهم في الدنيا، وبشارة لهم في الآخرة، وحصنًا من الشك والضلال.

الرّسـالة العاشرة

استكثروا من الصحبة الصالحة في بداية طريقكم، وكونوا قريبين ممن يأخذون بأيديكم إلى الله سبحانه وتعالى؛ فإن في القلوب ضعفًا لا يقوّيه إلا إخوانٌ صالحون يذكّرون بالله، ويعينون على الطاعة، ويثبتون عند الشدة، ويرشدون في طريق الهداية.

كم تأثر كثيرٌ منكم بسيرة أبي بكرٍ الصديق ﷺ، الذي كانت صحبته للنبي ﷺ سببًا في هداية كثيرٍ من الناس، وفي ثبات الأمة في أعظم المواقف. لقد كانت صداقته لرسول الله ﷺ من أعظم الصور في الوفاء والإيمان والصدق، فاستحق أن يكون خيرَ الخلق بعد الأنبياء، ورفيق النبي في الغار، وصاحبه في الدعوة والجهاد.

لقد أخبرتمونا أن مفهوم الصحبة في بلادكم قبل الإسلام كان مختلفًا؛ لم يكن قائمًا على الرحمة ولا على الصدق، بل على المصالح العابرة والملذات الزائلة. لكن لما عرفتم الإسلام، وقرأتم سيرة النبي ﷺ وصحابته، أدركتم أن الأخوة في الله نعمةٌ عظيمة، وأن الصداقة الحقيقية في الإسلام قائمة على المودة والرحمة والنصح والإيثار، لا على المنفعة أو المظاهر.

ومن أروع ما رويتموه لنا، ما قاله أحد الإخوة الذين دخلوا الإسلام منذ أربع سنوات:

«تأثّرتُ بقصة أبي بكر مع النبي ﷺ، وأحببته ولم أره قط. كنت أقرأ سيرته دون ملل؛ لما فيها من صدقٍ وإخلاصٍ وتضحية، فقد بذل نفسه وماله لله ولرسوله ﷺ والمؤمنين، حتى صار له شأنٌ عظيمٌ في الإسلام. وكان أول من صدّق النبي حين كذّبَه الناسُ في حادثة الإسراء والمعراج».

يا لروعة هذه المحبة التي تولد من الإيمان! ويا لعظمة هذا التأثر الذي يربط بين القلوب رغم بُعد الزمان والمكان! إنّ تأملكم في حياة الصحابة يعزّز إيمانكم، ويرتقي بكم إلى مراتب العزم والثبات، ويذكّركم بأن طريق الإيمان لا يُسلك منفردًا، بل يُعان عليه بالإخوة الصادقين.

فاحرصوا على أن تكون صحبتكم ممن يُذكّركم بالله إذا نسيتم، ويقويكم إذا ضعفتم، ويذكّركم بالجنة إذا غلبتكم الدنيا.

ابتعدوا عن رفقة الغافلين؛ فإنهم يتسللون إلى قلوبكم ليسرقوا منها الصفاء والنقاوة، ويضعفون عزائمكم دون أن تشعروا.

واعلموا أن الصحبة الصالحة زاد المسير إلى الله، فمن كان له رفيقٌ صالح، فقد امتلك عونًا على الثبات. فاثبتوا، وتزوّدوا بهذا الزاد المبارك، واقرؤوا سِيَر الصالحين، واملؤوا قلوبكم بمحبتهم، وادعوا الله أن يرزقكم مثلهم في الدنيا، وصحبتهم في الآخرة.

جمعنا الله وإياكم في الفردوس الأعلى، مع نبينا محمدٍ ﷺ وصحابته الكرام، فنحن إخوانكم وأحبابكم بإذن الله، إن لم نجتمع في الدنيا لطول المسافات فحتمًا هنالك موعدٌ في الجنّة على سرر متقابلين، اللهمّ آمين.

الرّسـالة الحاديـة عشرة

إنّ القلوب تضعف والنفوس تتعب، وطريق الإيمان ليس مفروشًا بالراحة، بل تمضي فيه الأرواح بين علوٍّ وهبوط، ونشاطٍ وفتور. لكن الله تعالى جعل لنا بابًا لا يُغلق أبدًا، نلجأ إليه كلما ضاقت بنا السبل، واشتدت علينا الحياة، وهو باب الدعاء.

لكن هل يكون الدعاء فقط في وقت الشدّة والضرّاء؟

أبدًا، بل ندعوه سبحانه في الرخاء قبل البلاء، وفي السعة كما في الضيق؛ فالدعاء هو الماء العذب الذي يروي قلوب المؤمنين، والدواء السحريّ الذي يسكب السكينة في الأرواح، ومفتاح الطمأنينة لمن عرف طريقه إلى الله جلّ جلاله.

الدعاء ليس مجرد كلماتٍ تُقال، بل هو روح العبودية، وعنوان الصدق في التوجّه إلى الله. في الدعاء تُبثّ الهموم، وتُسكب الدموع، وتُجدَّد النية؛ فيتذكر المسلم أنه لله، وأن كل ما يفعله ويصبر عليه إنما هو ابتغاء وجهه الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وإننا حين نتأمل حياتكم قبل الإسلام، نجد أن فطرة الدعاء لم تنقطع من قلوبكم قط، وإن كانت موجهة في غير موضعها. كنتم تدعون من لا يسمع ولا يبصر، ممن لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا، كنتم تدعون وتطلبون من الشمس، أو النجوم، أو الأصنام، أو الطبيعة؛ ظنًّا أن فيها قوة أو خلاصًا لكم

أو لأموركم. لكن في أعماقكم كان هناك يقين خفيّ، وشعور داخلي لا يُكذب نفسه، أن هناك إلهًا واحدًا يسمع ويرى، ويملك الأمر كله.

وكم من أحدكم، حين ضاقت به الحياة، أو اشتد عليه الحزن، بكى في خلْوته، ورفع بصره إلى السماء دون أن يدري، وقال في نفسه من غير وعي: "يا رب -أو يا الله-!"

لم يكن يومها يعرف الله حق المعرفة، لكنه كان ينادي فطرته التي لم تمت. واليوم، بعد أن عرفتم الله الواحد الأحد، وعلمتم أنه هو الذي كان يسمعكم في تلك اللحظات؛ صار الدعاء لكم عبادةً خالصة، واتصالًا صادقًا بربٍّ رحيمٍ لطيف.

فاحمدوا الله على أن هداكم لمعرفة من تدعونه حقًّا، واذكروه في الرخاء كما تذكرونه في الشدة، واجعلوا الدعاء أنيسكم في كل وقتٍ وحال. ابدؤوا يومكم واختموه بمناجاته، واشكروه على نعمة الإسلام والهداية، وجدّدوا نيتكم لله في كل خطوة؛ فإن النية هي الميزان الذي تُوزن به الأعمال.

ربما تعملون العمل نفسه يومًا بعد يوم، ولكن تغيّر النية يجعل العمل عبادةً بعد أن كان عادة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

نسأل الله أن يرزقكم لذة المناجاة، وصفاء النية، وثبات القلب، وأن يجعل كل خطوة في طريقكم قربًا إليه ونورًا لكم في الدنيا والآخرة.

الرّسـالة الثانيـة عشرة

جـايمي بـراون امـرأة أمريكيـة نشـأت في بيئـة نصـرانية محافظـة، كانـت حياتهـا مليئـة بالنشـاط في نشـر معتقداتها والدفاع عنها. عاشت سنواتٍ وهي تظنّ أنها على الحق، تدعو إليه وتبشّر به، حتى بدأ في داخلها صوتٌ خافتٌ يهمس: "أهذا هو الطريق حقًّا؟ أهذه هي الحقيقة التي تهدّئ القلب وتملأه نورًا؟" كانت تلك اللحظة بداية التحوّل. شعرت جايمي بفراغٍ لا يملؤه شيء، وبحيرةٍ لا تُطفئها الكلمات التي كانت تحفظها وترددها. ومع مرور الأيام، بدأ عقلها يسأل وقلبها يتأمل، حتى وجدت نفسها تبحث عن الإسلام ذلك الدين الذي لم تكن تعرف عنه سوى القليل.

لم تكن رحلتها سهلة، بل كانت طريقًا من التحديات والاختبارات. فقد واجهت رفضًا من عائلتها، واستغرابًا من مجتمعها، بل وخوفًا في داخلها من أن تخسر كل شيء كانت تعرفه. لكنها كانت تشعر أن هناك قوة خفية تدفعها للاستمرار، وأن النور أمامها مهما اشتد الظلام حولها.

قرأت عن الإسلام، وتأملت في القرآن، وسمعت عن النبي ﷺ، فوجدت في كل آية صدقًا لم تعرفه من قبل، وفي كل حديث دفئًا لم تشعر به من قبل، حتى امتلأ قلبها يقينًا أن هذا هو الطريق. فشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ لتولد من جديد في لحظة إيمانٍ صافية، شعرت فيها أن الطمأنينة التي كانت تبحث عنها طوال حياتها قد وجدتها أخيرًا.

واليوم، جايمي براون تعيش حياتها مسلمةً مؤمنة، تدعو إلى الله بحكمة ورحمة، وتنشر نور الإسلام في بلادٍ لم تعرف النور بعد. لم تعد تبحث عن الحقيقة، لأنها صارت جزءًا منها، بل تسعى أن تهدي بها غيرها كما هُديت.

إن قصتها ليست حكاية عابرة، بل رسالة لكل من يسير في طريق الهداية: أن الوصول إلى الله لا يكون بلا تعب، وأن الشكّ الصادق هو أول خطوة نحو اليقين، وأن من يطلب الحق بصدق، يهده الله إليه ولو بعد حين.

فيا من تقرؤون كلماتها اليوم، اعلموا أن ما تمرّون به من صعوباتٍ في طريق الإسلام ليس عثرة، بل مرحلة من مراحل الارتقاء، وأن الله إذا أحبّ عبدًا اختبره، ليُثبّت قلبه ويزيده قربًا منه.قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فاصبروا واثبتوا كما صبرت جايمي، واسعوا في طريقكم كما سعت، واعلموا أن الله لا يترك من قصد بابه، ولا يخيّب من رجاه.

إنه الهادي إلى سواء السبيل، والنور الذي لا يخبو أبدًا.

الرّسـالة الثالثة عشرة

نور الإسلام في القرى الإفريقية

في قرى بعيدة في إفريقيا، حيث لم يصل بعد نداء «لا إله إلا الله»، ولم تُشاهدْ مسجداً يُقام فيه الصّلاة، وقُووِمَت ظروف الفقر والحرمان والجهل، لكن رحمة الله وسعتهم. هناك حملات إغاثية خيرية وصلت إليهم، بعملٍ ملموس، بئرٌ حفرت، مدرسةٌ أُنشئت، وطبيبٌ جاء. ولم يكن الهدف مجرد تقديم ما ينقصهم؛ بل كان جسرًا لتعريفهم بمنهج الحق، ولترجمة العطاء إلى تهذيبٍ ونور.

وفي هذه القرى، كثيرون كانوا يعبدون الأوثان والطبيعة، وبعضهم من الكهنة والمشعوذين والقساوسة. لكن ما إن رأوا الصدق في الدعوة، وما إن لمسوا الرحمة في الأعمال؛ حتى انفتحت قلوبهم، وتخلى بعضهم عن شعائر باطلة اعتادوا عليها، وأسلموا لله الواحد الأحد. هذه لحظات عظيمة، تذكّرنا أن الله يفتح القلوب للنور حيث يشاء، وأن الهداية لا تُقاس بالمكان أو المكانة، بل بالإخلاص والنية الصافية.

إن أعظم ما يُلاحَظ في هذه الحكايات أن الهداية في كثير من الأحيان تأتي على شكل عمل صالح ومساعدة صادقة، قبل أن تُعرف القلوب بالإسلام. فالعطاء والإحسان، حين يكون خالصًا لله، يفتح أعين الناس على الحقيقة، ويُهيّئهم لقبول الحق قبل أن يسمعوه بالكلمات.

إخواننا... إن القرى التي لم تعرف الإسلام من قبل، وتلك القلوب التي كانت في ظلمات، تُظهر لنا درسًا عظيمًا: أن الدعوة لا تنفصل عن العمل، وأن الرحمة والمساعدة أحيانًا تكون مفتاحًا للنور. وأن الذين يزرعون الخير بإخلاص، يشاركون في رفع الظلمة عن البشر، ويصبحون شهودًا على قدرة الله في قلب كل عبد صادق.

فثابروا في دعوة الله، وأظهروا الرحمة والإحسان حيثما حللتم، وكونوا قدوة صالحة لمن حولكم، حتى تكونوا سببًا في فتح قلوب لم تُفتح من قبل، كما حدث في تلك القرى الإفريقية وغيرها من القرى المجهولة المنعزلة، حيث تحول الكهنة والمشعوذون إلى داعين للحق، وعلِم الجميع أن الله هو الحق، وأن الإسلام هو الطريق الذي يُضيء القلوب ويجمعها على نور واحد.

واعلموا أن الهداية عطاء من الله لا يُضاهيه شيء، وأن من شارك في هذه الملاحم، سواء بالدعاء أو العمل أو التعليم، يكون قد سعى في الأرض صلاحًا، وساهم في أن تنتشر كلمة الحق، ويكون له نصيب في ثواب من اهتدى، مهما بعدت المسافات أو غابت الوسائل.

الرّسـالة الرابعـة عشرة

إن الطريق إلى الله لا يحتاج دومًا إلى داعٍ أمامكم، ولا إلى لقاء شخص يشرح لكم الحق وجهاً لوجه. أحيانًا تكون الهداية نتيجة اجتهاد القلب والعقل معًا، وفتح الروح للعلم، وسعي النفس للحق، والله سبحانه يسخر لكم من عباده أينما كنتم وحللتم.

استخدموا الكتب الموثوقة، القرآن الكريم، السنة النبوية، المواقع العلمية والدعوية، وشهادات المهتدين الصادقين؛ فهي مفاتيح للنور حتى لو لم يكن المعلم حاضرًا. وليس شرطًا أن تُنطق الشهادة مباشرة أمام شخص، فقد تكون عبر الهاتف أو أي وسيلة كانت.

والحمد لله ربّ العالمين.

الرّسـالة الخامسة عشرة

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

أمر الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ ومن تبعه من المؤمنين أن يدعوا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكونوا مناراتٍ للخير وهداةً للخلق.

إخواننا المسلمين الجدد، أيها الأحبّة في الله، لقد أكرمكم الله بنعمةٍ لا تُقدّر بثمن، نعمة الإسلام والهداية بعد بحثٍ طويل أو ضياعٍ في ظلمات الشك، فكونوا أنتم جسور النور التي تمتدّ إلى غيركم. ابدؤوا بمن تحبّون: آباؤكم، وأمهاتكم، وإخوانكم، وأصدقاؤكم وجيرانكم. تحدّثوا إليهم برفق، وابتسموا لهم بمحبة، وأروهم في أفعالكم قبل أقوالكم معنى الإسلام وجمالَه. فالكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة دعوة، والموقف الصادق قد يفتح قلبًا كان مغلقًا.

ليس المطلوب منكم أن تكونوا علماء أو خطباء، بل أن تكونوا صادقين في نياتكم، مخلصين في دعوتكم، تبذلون ما تستطيعون بالحكمة والرفق. خذوا بأيدي من تحبون إلى المساجد، وعرّفوهم بالدعاة، أو أهدوهم كتابًا أو مقطعًا موثوقًا؛ فرُبَّ كلمة أو صفحة تُحيي قلبًا غافلًا.

وإن لم تستطيعوا لقاء أحدٍ وجهًا لوجه من الدعاة؛ فخذوا بأيديهم إلى أبواب الهداية عبر الشبكة العنكبوتية، وابعثوا لهم روابط القنوات الدعوية الموثوقة، فهناك الكثير من إخوانكم وأخواتكم الدعاة

الذين ينتظرونكم بقلوبٍ مفتوحة، يرحبون بكم، ويجيبون عن تساؤلاتكم، ويُعينونكم على معرفة الحقِّ بإذن الله.

وتذكّروا أن الهداية بيد الله وحده، وأن دوركم هو البلاغ بالحسنى، والدعاء لمن تحبون أن يُفتح لهم باب الإيمان كما فُتح لكم. فأنتم اليوم لستم متلقّين للهداية فقط؛ بل أنتم صُنّاعها وسُفراؤها.

فاحمدوا الله الذي اختاركم لتحملوا نوره، واسألوه أن يثبتكم، ويجعلكم سببًا في إنقاذ غيركم من ظلمة الجهل والضياع إلى نور الإسلام واليقين.

الرّسـالة السّادسـة عشرة

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

الله جلّ جلاله أمرنا بأن نبلغ وندعو إليه، إن استجابوا فالله سبحانه يهدي من يشاء، وإن لم يستجيبوا فالله بصيرٌ بعباده...

نعلم أن كثيرًا منكم حديثو عهدٍ بالإسلام، وربما تشعرون بثِقَل الدعوة أو الخوف من مصارحة أهليكم بإسلامكم، لكن تذكروا أن الدعوة إلى الله لا تُقاس بحجمها أو ضجيجها، بل بإخلاصها وصدقها، فمهما كانت قليلة في أعين الناس، فهي عظيمة عند الله سبحانه.

اعلموا أن الهداية بيد الله وحده، وأن ما طُلِب منكم هو البلاغ، لا النتيجة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾.

فلو أن أحدًا لم يسمع منكم إلا كلمةً رقيقة تقول: «الله يحبّك»، أو رأى فيكم صدق المسلم وأمانته، فذلك بلاغٌ في سبيل الله.

وكم من مهتدٍ جديدٍ بدأ بخطوةٍ صغيرة في الدعوة، ثم صار بعد أعوامٍ داعيةً ينشر الإسلام في بقاع الأرض! فأنتم امتدادٌ لأولئك الذين حملوا هذا النور من مكة إلى المدينة، ومن الشرق إلى الغرب.

وإنّ الدعوة ليست منبرًا ولا خطابًا، بل هي حياة يعيشها المؤمن بين الناس بخلقٍ نبيل، وسلوكٍ صادق، وقلبٍ يفيض محبةً ورحمة، فكونوا قدوةً بأفعالكم قبل أقوالكم؛ فالكلمة الصادقة لا تخرج من الفم فقط، بل من القلب الذي ذاق حلاوة الإيمان.

وتذكّروا دائمًا أن الله حين هداكم، لم يرد أن يخصّكم بالنعمة وحدكم، بل أراد أن تكونوا أنوارًا تضيء دروب غيركم، ورحماتٍ تمشي على الأرض، تسعون في نشر الخير بالرفق والحكمة. فبلّغوا قدر ما استطعتم، فربّ كلمةٍ صادقةٍ تخرج من قلبٍ مخلص، يهدي الله بها الكثير من الناس.

فأنتم اليوم بفضل الله سفراء الإسلام في أرضكم، وألسنة الحق في زمنٍ كثر فيه الباطل، فامضوا بعزيمة، وادعوا بحكمة، وكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

الرّسـالة السّابعة عشرة

قـال الله تعـالى: ﴿فَـإِنْ تَابُـوا وَأَقَـامُوا الصَّـلاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ فَـإِخْوَانُكُمْ فِي الـدِّينِ وَنُفَصِّـلُ الآيَاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

هـذه الآية الكريمة تكشـف لنا عظمة الإسلام ورحابة دينـه؛ فهـي تجمـع بـين رحمـة الله وعدلـه، وبـين التوبة والقبول والأُخُوَّة في كلمةٍ واحدةٍ: "إخوانكم في الدين".

تدلنا على أن من تاب من ضلاله، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة؛ لم يعد غريبًا أو بعيدًا، بل أصبح أخًا في الـدين، لـه حقـوقٌ وعليـه واجبـات، وذا منزلـةٍ رفيعـةٍ بـين المؤمنين. الإيمـان هـو الـرابط الأعظـم بـين القلوب، والأخوّة في الإسلام ليست بالنسب أو الدم، بل بالإيمان والتقوى.

فالمسلم الجديد، مهما كانت خلفيته أو أصله ولونه وجنسيته، يصبح في لحظة نطق الشهادة أخًا لنا محاطًـا بالحـب، والاحـترام، والمسـاندة مـن الأمـة كلهـا. هـذه اللحظـة هـي مـيلاد جديـد، وفـتح لبـاب الانتماء الحقيقي لديننا الحنيف.

وقوله تعـالى: ﴿وَنُفَصِّـلُ الآيَاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ﴾ يـذكّرنا بأن الله لا يـترك شيئًا إلا وبيّنه لعبـاده؛ ليعلم المؤمنـون حكمـة شرعـه، ويقيمـوا روابـط الأخـوّة الإيمانيـة في المجتمـع المسـلم، ويسـتقيموا عـلى الحـق، متكاتفين على طاعة الله وعبادته.

خاتمة الرسـائل

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

فـ الحمـد لله على النعمـة التي أنعمهـا علينـا، أن جعلكـم إخـوانًا لنـا في الـدين، وجمـع بيننـا على حبّه وطاعته، وعلى نور القرآن والسنة. فأنتم اليوم جزء من هذه الأمة العظيمة، يرتبط بعضكم ببعض بالإيمان، وتثبت قلوبكم في الحق، ويسعى كل واحد منكم للخير، معتمدين، متوكّلين على الله في كل خطوة.

نسأل الله أن يوفقكم، ويثبتكم على دينه، ويملأ قلوبكم نورًا، ويجعلنا وإياكم من الإخوة الصادقين في الدنيا والآخرة، آمين.

أسنّة
الضياء

ketaeb.com